بسم الله الرحمن الرحيم

الدّرس الثّالث

مِن مَتن حِلية طالِب العِلم

شرح فضيلة الشّيخ/ عبدالسّلام الحصيّن؛
حفظه اللّه تعالى.

معهد العُلوم الشّرعية العالميّ - مُلتقى طالباتِ العِلم
مُحرّم / 1436 هـ.

تفريغ اللقاء الثالث من مادة حلية طالب العلم

تفريغ الأخت:

طالبة علم مصرية

معهد العلوم الشرعية العالمي

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أم بعد :

كيفية الطلب والتلقي:

هذا الباب من أهم ما ينبغي أن يهتم به طال العلم لكي يترقى في سلك الطلب ويحصل له البناء العلمي والفكري حسب ما أعطى ولُقن وبحسب ما ابتدأ وبما أخذه من شيخه أو بقراءته بنفسه.

وهذا الباب للناس فيه مسالك:

١-بحسب البيئة التي يعيشون فيها ٢- وبحسب العقيدة التي يعتقدونها

٣- بحسب التجارب التي قاموا بها وحصلت لهم في مثل هذا الباب

والشيخ هنا –رحمه الله- يذكر ما جرى عليه في البلاد النجدية وما حولها ممن ينتمون إلى المذهب الحنبلي ويعتقدون عقيدة السلف الصالح؛ ولهذا قال –رحمه الله- " لابد من التأصيل والتأسيس آخذًا في ذلك بالتدرج كما قال تعالى:"وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً"

التأصيل والتأسيس:

مبدأ مهم في طلب العلم والتدرج من الأصغر إلى الأكبر هذا لابد منه لحصول العلم النافع وإذا كان الله تبارك وتعالى أخبر أنه نزل الفرقان مفرقًا لكي يُقرأ على مكث وتؤده ويُرتل.

ولاشك أن هذا منهج رباني في التعلم بل بعض أهل العلم كان يذكر أن الله تبارك وتعالى خلقنا أطوارًا؛ أطوار في الخلق وأطوار في الفكر؛فتجد الطفل الصغير يخرج من بطن أمه لا يعي شيئًا من أمور الحياة ثم يبدأ سمعه ينمو شيئًا فشيئًا وبصره وفؤاده وهكذا حتى يكتمل نموه الجسدي والعقلي.

وبعض أهل العلم يذكر أن الله تبارك وتعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام مع قدرته تبارك وتعالى أن يجعلها في لحظة واحدة فإنه لا يعجزه شيء ولكن ليتأسى الناس وليقتدوا بربهم جل وعلا في الوصول إلى الغايات عن طريق التدرج من الأصغر إلى الأكبر.

وفى قول الله تعالى:"وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ "

قال ابن عباس رضي الله عنه:"كُونُوا رَبَّانِيِّينَ" يعنى تربون الناس بصغار العلم قبل كباره فالمعلومات الكبيرة كاللقمة الكبيرة تضر البدن وتؤذيه إذا أتت في غير مكانها الصحيح وتنفعه وتغذيه إذا جاءت فى وقتها الصحيح وهكذا المعلومات.

وهناك مسائل وأصول ينبغي مراعاتها في بداية الطلب اختصرها المختصر في ستة أمور:

١-حفظ مختصر فى كل فن

٢- ضبطه على شيخ متقن أمين

٣-عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

٤- لا تنتقل من مختصر إلى آخر فتضجر.

٥- اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

٦- جمع النفس للطلب والترقي فيه مع الاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ لما فوقه.

١- حفظ مختصر فيه:

فوائد المختصرات:

المختصرات تجمع لك رؤوس المسائل وتعطيك تصورًا جيدًا عن محتويات العلم. كما أنها تعطيك المسائل الأساسية فيه مثل عمليات الجمع والطرح والضرب في الرياضيات فإن المسائل بسيطة

معهد العلوم الشرعية العالمي

ولكن كل المسائل بعد ذلك لا تخرج عن مثل هذه الأمور في الغالب. وكذلك الحروف لما تحفظ الحروف مفرقة فإنك تستطيع أن تتمكن من قراءتها مجتمعة. فالمختصرات مفيدة . ولو لاحظت القرآن الكريم ستجد أنه في المفصل والذي جمع فيه أصول الدين كله تجد أنه يتميز: بقصر الفواصل وقصر السور. بل كلما وصلت إلى آخره وجدت أن السور صارت أقصر ولهذا يبتدىء أهل العلم في حفظ القرءان وتلاوته من جزء عمّ مع انه يعتبر الجزء الثلاثين وما ذاك إلا لأنه مثل المختصر للقرآن الكريم بحيث أن الطالب يحس أنه أنجز سورة فأخرى ..فأخرى بخلاف لو ابتدأ بالبقرة فإنه يطول عليه العمر وهو لم ينجز شيء هذا أول أمر ينبغي أن تراعيه في هذا ولذلك فس حفظ القرءان الكريم تبتدئ بالمفصل من جزء عمّ ثم تبارك وهكذا حتى تصعد لأنك تبدأ بالأسهل فالأسهل ولا تبدأ بالأصعب.

٢-ضبطه على شيخ متقن أمين:

أولًا الشيخ الذي عنده علم في الفن الذي تتعلمه ولا بد من التوقي في هذا لأن العلم في صدور الرجال وإن كان موجودًا في الكتب ولكن مفاتيحه معهم. وفي التلقي على الشيخ تسلم من الزلل والخطأ الذي يمكن أن يقع لمن يقرأ دون أن يعرف ضبط الكلمات وكيفية قراءتها. وقوله: "شيخ متقن" أي لابد أن يكون هذا الشيخ متميزاً في فنه حتى تستفيد منه وتنتفع بعلمه. وحينما نقول متميزًا لا يعنى أنك تطلب أميز شيء –إن وجد هذا فنعم ولكن إن لم يوجد فلا تنقطع عن طلب العلم- بل المتيسر عندك من أهل العلم تبتدئ بالقراءة عليهم وأخذ ما عندهم من المعلومات التي قد لا تجدها في تضاعيف الكتب.

وأما صفة الأمانة فهي ضرورية جدًا في العالم لأن العالم الأمين يعطى طالب العلم الذي بين يديه العلم على وجهه ولا يخونه في العلم فيحجب بعض المعلومات عنه أو يعطيه المعلومات على غير وجهها الصحيح كما يحدث للأسف مع بعض المبتدعة حينما يخفون عن أتباعهم ما يمكن أن يكون طعنًا في بدعتهم أو ناقضًا لأصولها ،وكذلك أهل الكفر من النصارى واليهود فإنهم يخفون عن أتباعهم وعن مريديهم الأشياء التي تكون دالة على الخطأ الذي وقعوا فيه كعدم إيمانهم بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بتحريفهم كتبهم التي اؤتمنوا عليها واستحفظوا عليها.

٣-عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله (الأخذ من الكتاب مباشرة) :

في السابق كانت الكتب غير مشكولة في الجملة وكذلك غير منقوطة فيقع التصحيف كثيرًا لطالب العلم وهذا وإن كان أقل بكثير في زماننا هذا لكن مع ذلك لا تستطيع أن تستغني عن الشيخ في بداية الطلب ؛يدلك على الأمور المهمة في كل فن تطلبه أو في الفن الذي هو متخصص فيه وقد لا يتيسر لطالب العلم بخاصة أن تتلمذ على شيخ فلا أقل من أن يكون عندك تسجيلات تسمعها لشيخ وتسمع التصحيح الذي يمكن أن يكون لقراءة القرءان مثلًا أو غيره من الكتب التي تريد أن تقرأها وتتعلم فيها. وإن لم يكن هناك تسجيلًا فوسائل الاتصال في هذا الزمان كثيرة كوسائل الانترنت والأقراص التي تحوى دروسًا لأهل العلم. وقد يكون بعض الطلبة أعطاه الله تبارك وتعالى قدرة فى التحصيل وفهم سريع فلا يجلس عند الشيخ كثيرًا ويكون عنده من النباهة وحسن الفهم ما يمكنه من القراءة لنفسه بسرعة .

وهذا قد وقع لبعض أهل العلم كالعز بن عبد السلام فيذكر أنه كان يقرأ أول الكتاب على الشيخ فيقول له الشيخ:اذهب فاقرأ لوحدك فإنك قد استغنيت عنى أو نحوًا من ذلك. وكما يذكر أيضًا ابن بدران الدومي الدمشقي –رحمه الله- توفي سنة ١٣٤٥ تقريبا أنه لم يحتج إلى القراءة على المشايخ إلا يسيرًا صار يقرأ لنفسه. وهذا يحصل لبعض طلبة العلم والقدرات في ذلك متفاوتة لكن كل هؤلاء لابد أن يبتدؤا بالقراءة على شيخ. وأنت لو فتحت كتب التراجم ستجد مليئة بأهل العلم وكل واحد منهم له شيوخ تعلم منهم وله تلاميذ تعلموا منه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:"العلماء ورثة الأنبياء" والميراث لا يمكن أن يأتي إلا بالمشافهة والمقابلة وأخذ ما عند الآخر. لكن في الحقيقة التلقي على الأشياخ لا يغنى عن القراءة الخاصة وأن يكون لك جلساتك الخاصة التي تقرأ أنت فيها وتسجل الفوائد وتترقى في المختصرات إلى المتوسطات ثم إلى المطولات. ولكن احذر أن تنشغل بالمطولات قبل أن تتقن المتن ولهذا النقطة الثالثة: عدم الاشتغال بالمطولات وتفاريق المصنفات قبل الضبط والإتقان لأصله.

يعنى مثلًا ما تقرأ فتح الباري وأنت لم تحكم مسائل في المصطلح ومسائل في النحو ولم تعرف كيف تقرأ الأحاديث قراءة صحيحة لم تقرأ قبل ذلك الأربعين النووية لم تقرأ عمدة الأحكام لم تقرأ شرحًا مختصرًا في الحديث فإنه يشكل عليك في مسائل كثيرة ولذلك يصيبك أحد أمرين:

الأول:إما أنك تفهم فهمًا خاطئًا.

الثاني : إما أنك تمل من القراءة وتضجر وتترك العلم وهذا في الحقيقة خسارة كبيرة لأنك قد ابتعدت عن الطريق الذي يسلك بك إلى الجنة ويرفعك عن دركات الجهل ولا تصل في الحقيقة إلى مدارك ودرجات العلماء. وحينما نقول عدم الانشغال بالمطولات فهذا نريد به المطولات في فن من الفنون لكن قد تكون بعض المطولات لا تحتاج إلى شيخ ولا إلى قراءة مثل المختصر مثلًا في التاريخ في السير فإن هذه ينبغي لطالب العلم أن يكون له نصيب منها لأنه فيها سهولة ويسورة وهي أيضا تغذى طالب العلم بحوادث وأشياء تعينه على الطلب والصبر في التلقي.

كذلك أيضًا ما يتعلق بمسائل الرقائق ونحو ذلك قد يكون فيها كتب جيدة في هذا الباب فأنت أيضًا تقرأ فيها لكي تمد نفسك بأمور نافعة مفيدة.

٤- لا تنتقل من مختصر إلى آخر فتضجر.

ويصيبك أيضًا ضعف الضبط مثلًا أن تقرأ في النحو لا تنتقل إلى غيره حتى تضبطه هذا منهجًا من المناهج. وهناك منهجًا آخر وهو الذي يسير عليه الناس الآن في التعليم:

أنهم يعطون العلوم مع بعض فتجد يدرس قليلًا في النحو يدرس قليلًا في الفقه يدرس قليلًا في الأصول يدرس قليلًا في الحديث وهكذا حتى العلوم تسير مع بعضها البعض حتى ينتهي في آخر سنوات الدراسة إلى أن حصل مجموع هذه العلوم كلها.

فعلى كل حال هذه طريقة وهذه طريقة فإن كنت في طلبك لوحدك للعلم فبدأت مثلًا بمصطلح الحديث فلما قرأت منه الربع وجدت أن نفسك قد أصابها شيء من الملل فقلت أنتقل إلى النحو مثلًا أو إلى كتاب في الفقه فأقرأ فيه يسيرًا ثم أعود مرة أخرى.

هذا ليس منهي عنه بإطلاق –كما ذكر الشيخ-فهذا قد يكون مفيدًا لطالب العلم أنه ربما أصابه الملل من فن من الفنون فينتقل إلى غيره أو ثم يعود إلى غيره لكن بشرط أن يعود إليه باتقان لا أن يتنقل ثم يضيع عليه الوقت بدون أن ينهى شيئًا منها.

يبدأ بالنحو قليلًا ثم يضجر منه ثم يبدأ بالفقه ثم يضجر منه ثم يبدأ بالحديث ثم يضجر منه فلا هو أتقن الحديث ولا هو أتقن النحو ولا هو أتقن هذه العلوم هذا هو الخطأ لكن أن تأخذ من

هذا شيئًا ومن هذا شيئًا حتى تجم نفسك وحتى تصحح المعلومات من هنا وهاهنا فهذا لا بأس به.

٥- اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

هذا أيضًا مهم جدًا لأن هذه الفوائد والضوابط هي المكونات العقلية الفكرية بالنسبة لك، المعلومات كثيرة لكنها لها أصول ولها كليات ولها ضوابط هذه الضوابط إذا أنت اقتنصتها وسجلتها وأكثرت من مراجعتها رسّخت في ذهنك القدرة العلمية على جمع الفروع والمسائل المتناثرة تحت هذه القواعد والكليات.

٦- جمع النفس للطلب والترقي فيه مع الاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ لما فوقه.

وهى عبارة عن تصبر وهى في الحقيقة أليق ما تكون بها في آداب طالب العلم لكن من كيفية الطلب أنك تجمع نفسك وتترقى بحيث يصير لك همة عالية ولا تركن إلى ما حصلت لأن العلم بحر لا ساحل له وهو لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك. ثم قال المؤلف –رحمنا الله وإياه – "واعلم أن المقدم على ذلك كله هو حفظ القرءان الكريم ودوام مراجعته حتى يثبت أما الخلط في التعليم بين علمين فأكثر فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط."

يعنى الذي يُبدأ به بالتعلم هو قراءة القرءان وقوله : حفظ القرءان الكريم هذه مرحلة أعلى من القراءة . عندنا مرحلتين:

المرحلة الأولى: مرحلة القراءة الصحيحة

المرحلة الثانية: الحفظ

وأكثر ما يصد الناس عن القراءة الصحيحة اعتقاد أن لابد أن يحفظ. وهذا خطأ. فالحفظ الذي يلزمك هو ما تؤدى به صلاتك وتصح به صلاتك هذا هو الذي يلزمك من الحفظ. أما ما عاداه فهو ليس لازمًا لكن لا شك أن حفظه هو المقدم إلا أن ذلك مرتبة ثانية والمرتبة الأولى

معهد العلوم الشرعية العالي

والأساسية هي أن تتقن قراءته قراءة صحيحة على شيخ متقن بدون حفظ فتكون قراءتك له قراءة صحيحة. وبعض الناس ينشغل بالحفظ فيجلس مثلًا في جزء عمّ أو تبارك سنة أو سنتين أو سنة ونصف وربما يمل من الحفظ قد يكون حفظه شيء أو كذا فيترك تعلم القرءان مطلقًا ويبقى بقية القرءان ما قرأه على شيخ ولذلك كان في الكتاتيب كما يذكر والد الشيخ حفظها الله كانوا يبدؤون بقراءة القرءان فكًا أي تعلم الخط والكتابة ثم قراءة القرءان فيكونون ختموا القرءان نظرًا فإذا ختم القرءان نظرًا شرع بعد ذلك في حفظه ولا يسمحون له أن يبدأ بالحفظ إلا إذا أكمل القرءان كله قراءة صحيحة وهذه هي المرحلة الأولى فإذا أتقن قراءة القرءان قراءة صحيحة انتقل بعد ذلك إلى حفظه وأما أن تنشغل بما حفظ القرءان دون أن تنشغل بقراءته قراءة صحيحة فهذا لا ينبغي.

ثم ذكر بعد ذلك الشيخ –رحمنا الله وإياه – المنهج الذي كان يعتمد في كثير من كتاتيب ومدارس وحلقات العلم في نجد وما حولها:

ففي توحيد العبادة: ثلاثة الأصول وأدلتها والقواعد الأربع وكذلك كشف الشبهات ثم كتاب التوحيد وهذه الأربعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمنا الله وإياه-

ثلاثة الأصول والقواعد الأربع هي كتب يسيرة - ويتم دراستها بالفعل -وأما كشف الشبهات فهو عبارة عن تدريب الطالب على الإجابة عن الإيرادات التي ترد عليه من الشبه التي يثيرها سواء المبتدعة أو الكفرة وهذا المنهج منهج قرءاني في الحقيقة إن الله تبارك وتعالى أكثر من ذكر شبه الكفار في القرءان الكريم والرد عليها. هذا ما يتعلق بتوحيد العبادة وهو المتعلق بعبادة الله جل وعلا في علاقتك مع ربك؛ أي علاقة قلبية.

أما في توحيد الأسماء والصفات فهناك كتب الشيخ ابن تيمية –رحمنا الله وإياه-وهي الواسطية والحموية والتدمرية.

الواسطية من أسهلها وأيسرها ينبغي لطالب العلم ألا يهملها أما الحموية والتدمرية فيها شيء من الصعوبة وتحتاج إلى صبر في تلقيها وكذلك الطحاوية أصلها شرح لمختصر الطحاوي وهو حنفي شرحها ابن أبي العز وهو حنفي كذلك وأكثر في شرحه من المنقول عن ابن تيمية وابن القيم كثيرًا.

وهذا اقتراح وإلا إذا من الممكن أن تأخذ مثلًا لمعة الاعتقاد لابن قدامة وممكن أن تأخذ كتابًا في التوحيد للمقريزي وهو كتاب جيد كذلك قد تعود لأقدم بقليل من هذا أو من بعده كالسفاريني في عقيدته أو شرح لامية أبي داود فالكتب في هذا كثيرة ولكن هذا مثال مقترح لطالب العلم والبيئة أو المجتمع الذي تقوم فيه قد يفرض عليك كتبًا معينة ولا بأس بذلك إذا كانت هذه الكتب سائرة على منهج أهل السنة والجماعة مشتملة على الدلائل الصحيحة من الكتاب والسنة.

لكن احذر المعتقدات الباطلة التي تخلو من الاستدلال بالكتاب والسنة أو تحرف النصوص عن ظاهرها فإن هذه قد تضلك في بداية الطلب فتنحرف في الحقيقة عن تعظيم النصوص وأخذها للاستدلال بها فيكون عندك تبرك بها دون استدلال بها.

وأيضًا احذر من أن تقرأ كتبًا كبيرة في العقائد وفيها ردود يعني مثلًا الطحاوية لا تبدأ بها لأنها مشتملة على منقولات طويلة وردود ونقض أصول المعتزلة والأشاعرة لكن الواسطية لا ليس فيها شيء من ذلك ولكن فيها معتقد أهل السنة والجماعة بالدلائل الشرعية الصحيحة وكذلك كتاب التوحيد فهو يسلم من المناقشات إذا أتقنت هذه وضبطتها تنتقل بعد ذلك إلى ما هو أكبر منها كالطحاوية.

في النحو يذكر الشيخ الأجرومية ثم ألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل .

لاشك أن الانتقال من الأجرومية إلى الألفية صعب.

الألفية مع شرحا لابن عقيل من الكتب الكبار والأجرّومية من الكتب المختصرة والحقيقة في النحو كتب كثيرة جدًا تستطيع أن تأخذها ليست هذه إلزامية وتستفيد منها مثل النحو الوافي وكذلك كتب مناهج التعليم وبخاصة عندنا في السعودية اطلعت عليها في كثير منها في الصف الرابع الابتدائي والخامس والسادس والأول متوسط والثاني متوسط جميلة جدا ومشتملة على أسس هذه القواعد فلا بأس أن تأخذها وتستفيد منها المهم أن تبدأ بكتب مختصرة سالمة من الخلافات والنقاشات التي لا فائدة منها.

في الحديث ذكر الشيخ: الأربعين النووية ثم عمدة الأحكام للمقدسي أو بلوغ المرام لابن حجر حف الدخول في الأمهات الست.

طبعًا الأربعين النووية لا شك أنها تُبدأ بها فهي مختصرة ويسيرة واشتملت على أحاديث هي تعتبر أصول وأسس الفقه كله سواء أكان الفقه الأصغر أو الفقه الأكبر أو الأمور المتعلقة بتزكية النفس ونحوها.

وأما عمدة الأحكام للمقدسي فهي أحاديث أحكام وقد جمع فيها ما اتفق عليه البخاري ومسلم..وأما بلوغ المرام لابن حجر فهو أوسع منها وذكر أحاديث الأحكام الواردة في السنن والمسانيد ورتبها على الأبواب وهذه طبعًا متعلقة بأحاديث الأحكام وليس جميع الأحاديث النبوية ونحن نعرف أن الأحاديث منها أحكام ومنها رقاق ومنها مغازي وسير ومنها متعلقة بالإيمان وأشياء كثيرة لكن هذه مثل الأصول لها ولذلك بعد ذلك قد تدخل في الأمهات الست التي هي :صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن أبي داود وسنن الترمذي وسنن النسائي وسنن ابن ماجة، ولا شك أن معها أو مقدم عليها موطأ الإمام مالك-رحمنا الله وإياه- وهذا مرحلة متقدمة. فتبدأ بالأربعين النووية فإذا ضبطتها وأتقنتها وتاقت نفسك لما بعدها فانتقل إلى عمدة الأحكام ثم انتقل إلى بلوغ المرام ثم تاقت نفسك تبدأ بقراءة هذه الكتب على شيخ متقن وتتلقاها عنه وتأخذها بسندها إن تيسر ذلك.

في المصطلح ذكر الشيخ نخبة الفِكَر لابن حجر ثم ألفية العراقي.

وهذا مختصر جيد (نخبة الفكر لابن حجر) والمختصرات في ذلك كثيرة لكن هذا من أحسن المختصرات وأتقنها وأضبطها ألفاظًا وهذا مختصر تحتاج أيضًا أن تقرأ على شيخ يفك لك مغاليقه فإذا أتقنته تنتقل إلى ألفية العراقي وهى أيضًا في المصطلح.

وفى الفقه : آداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله- ثم زاد المستقنع للحجاوي أو عمدة الفقه ثم المقنع للخلاف المذهبي فالمغنى للخلاف العالي وثلاثتها لابن قدامة –رحمه الله تعالى-

الفقه يعنى بالمسائل الفقهية العملية التي تؤخذ بأدلتها التفصيلية وهذه يُبدأ فيها بمذهب مختصر يشتمل على جميع الأبواب

طبعًا آداب المشي إلى الصلاة لا يتعلق إلا بالصلاة فقط وبنا أن الصلاة هي الركن الثاني وهى عمود الدين والتي تتكرر في اليوم والليلة خمس مرات فإنهم يبدؤون بها ثم ينتقلون بعد ذلك إلى

زاد المستقنع فزاد المستقنع وإن كان مختصرًا فهو فى الحقيقة مملوء بالمسائل ويغلب عليه الصعوبة ولذلك عمدة الفقه أسهل منه وأولى بأن يبدأ به طالب العلم لأنه مشتمل على مسائل يسيرة مع الاستدلال بالأحاديث الصحيحة فلذلك يصلح أن يكون مختصرًا تستعين به على فهم الفقه ومعرفته وربما أقصر من منهج السالكين للشيخ ابن السعدي وهذا يعتمده كثير من المناهج العلمية بسبب اختصاره ووفائه لكثير من المسائل وأيًا ما كان المقصود هو تلقى مجموعة من المسائل بأسلوب واضح مع دلائلها الصحيحة سواء كان عمدة الفقه لابن قدامة سواء كان مختصر في الشافعية مختصر في المالكية كالرسالة لابن أبى زيد القيرواني أو غيرها من الكتب في أي مذهب من المذاهب المقصود التأسيس على تلقى معلومات أساسية وبسيطة تستطيع أن تنتقل بعدها إلى ما هو أعلى منها ولذلك قال المقنع للخلاف المذهبي.

المقنع لابن قدامة يذكر فيه الوجهين للأصحاب والروايتين بدون أدلة لكي تتعود على معرفة الخلاف وأما المغنى فهو للخلاف العادي والذي يريدون به المشتمل على الخلاف مع المذاهب الأخرى المالكية والحنفية والشافعية وذكر الدلائل الأقوى والمناقشات ثم الترجيح وهذا لا شك أنه مرحلة متقدمة جدًا ما يصلها طالب العلم إلا بعد أن يمر بمراحل يكون قد تأسس فى معرفة الأمور الأساسية.

في الأصول ذكر الورقات للجويني ثم روضة الناظر لابن قدامة.

لاشك أن الانتقال في الحقيقة من الورقات إلى الروضة صعب لأن الورقات يسيرة على اسمها بينما روضة الناظر مليء بالمسائل ولغته صعبة ويناقش الأدلة ويرجح فأحسن من هذا أن نقول مثلًا الأصول لابن عثيمين . ومن الكتب المعاصرة النافعة في الأصول: الوجيز لابن بدران في الحقيقة جيد، أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله لعياض السلمي ، الواضح للأشقر هذه كتب جيدة في أصول الفقه.

ثم بعد ذلك إذا أتقنت هذه الأصول تستطيع أن تنتقل مثلًا إلى جمع الجوامع لابن السبكي وشرحه للمحلى أو مختصر التحرير لابن النجار وشرحه مختصر التحرير وعلى كل حال لكل مذهب أصوله التي يعتني بها وأنت تتبع في الحقيقة ما يفيدك فيه شيخك.

في الفرائض ذكر :الرحبية للرحبي .

والرحبية مشتملة على أبيات في الفرائض وأيضًا من الكتب الجميلة كتاب الشيخ الصالح الفوزان: التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية وهو كتاب جميل وجليل ومشتمل على مسائل مهمة في هذا الباب وللشيخ -حفظه الله -في الفقه كتاب اسمه : الملخص جميل جدًا لغته سهلة ،أسلوبه واضح وهو سائر على المذهب الحنبلي في ذلك

فتستطيع أنت تجعله كالمختصر لك.

ثم قال الشيخ رحمه الله وفى السير:مختصرها لمحمد بن عبد الوهاب ثم سيرة ابن هشام وكذا زاد المعاد لابن القيم.

في السيرة كتب كثيرة جدًا من المختصرات مختصر السيرة لابن كثير وهو كتاب جيد في هذا

وأما سيرة ابن هشام فلا شك أنها مفيدة جدًا لطالب العلم لكن قبل ذلك لو تأخذ سيرة من السير المعاصرة التي تقرب لك المعلومة بدون أساليب وتحرص على الصحيح منها كالرحيق المختوم للمبارك افوري وأيضا هناك كتاب معاصر جميل جدا مشتمل على السيرة النبوية : اللؤلؤ المكنون في سيرة النبي المأمون :موسى بن راشد العازمي فيه أربع مجلدات وهو في الحقيقة جميل جدًا يحرص على الصحيح من السيرة ويبتعد عن الموضوعات والضعيف بل ينبه على المسائل التي فيها ضعف.

وأما زاد المعاد لابن القيم-رحمنا الله وإياه – هو كتاب جيد في هذا الباب ومشتمل على مسائل فقهية كبيرة ولذلك لا ينبغي لطالب العلم أن يبتدئ به لأنه مشتمل على نقاشات وردود لكن تحرص على ما قبله فإذا قرأت هذه الأمور استطعت أن تصل إلى زاد المعاد وأنت فاهم له.

في لسان العرب أراد لسان العرب: يعنى تقوية لسانك. وهنا لا يريد حقيقة النحو لأن النحو قد سبق ذكره وإنما يريد كيف تقوم نطقك وتنمى ثقافتك اللغوية بحيث تتكلم بلغة فصيحة. فذكر العناية بالأشعار: كالمعلقات السبع والمرور على القاموس للفيروز آبادي

العناية بالشعر لأن الشعر في الحقيقة هو ديوان العرب والمعلقات السبع هي مشهورة في الجاهلية ومشهورة في الإسلام وهى مشتملة على أصول وأساليب اللغة وما فيها من مجاز وحقيقة وتشبيه وبلاغة فصيحة فإن تيسر لك أن تقرأها وتفهمها وتحفظها هذا لا شك أنه أولى

وإن لم يتيسر فإنك تختار من كتب الأدب ما ينمى لغتك مثلًا : كتب الجاحظ مع الإبتعاد عن بدعته لأنه معتزلي وكتب ابن قتيبة جميلة جدًا في الأدب منها عيون الأخبار وهو كتاب جميل جدًا أيضًا كتب ابن المقفع . الماوردي كتاب : أدب الدنيا والدين هذا الكتاب جيد وجميل في هذا الباب و ابن المبرد في كتابه: الكامل

هذه كتب في اللغة تقرأ فيها لتقوم لسانك وأيضًا بلاغتك وفصاحتك وإن أردت كتاب ينقل أصول البلاغة فإنك تختار البلاغة لعلى الجارم وزميله ومختصر ذكر فيه أصول البلاغة وكيفية بناء الجمل بناء صحيحًا ولغويًا وفصيحًا.

هذه أصول لكيفية التلقي وكل فن من الفنون له مختصر لا تبدأ بالمطول قبل قراءة المختصر فمن الخطأ أن تبدأ في الأصول تقرأ : المستصفى للغزالي قبل أن تُحْكم أصول الفن كأن تقرأ اللمع للشيرازي وهو كتاب جليل جدًا ومختصر ولغته سهلة ويسيرة. حتى المتقدمين

الغزالي –رحمنا الله وإياه-قال في الأصول: أول شيء المنقول وفى الحقيقة أخذه عن شيخه حتى في ألفاظه ونص على هذا في الخاتمة لكن لما ترقى في الطلب وتبين ألف كتبًا عظيمة جدًا خالف فيها شيخه: كشفاء الغليل في مسائل القياس والمستصفى في مسائل أصول الفقه. يقول الشيخ " فهذه أصالة الطلب .وذلك من خلال دراسة المختصرات المعتمدة وحفظها لا على الاعتماد على الفهم فحسب فلابد من الأمرين معًا ولا بد من خلو التلقين من الزغل والشوائب والكدر سيرًا على منهاج السلف." الزغل : ما يُلفظ وما لا يُعتمد . قال : "وهذا يُمكن لأصحاب المذهب الشافعي العودة إلى متن الغاية والتقريب لأبي شجاع ثم شرحه لابن قاسم أو كفاية الأخيار ثم فتح المعين لشرح قرة العين للمليباري ثم المنهاج للنووي وله عدة شروح منها السراج الوهاج والمغنى وغيره." في كل مذهب في الحقيقة أصوله ومختصراته التي تؤخذ منه فأنت انظر إلى شيخك الذي تتعلم منه فإذا كان أمينًا متقنًا سيدلك على ما هو النافع لك في هذا الباب. ثم بعد ذلك قال الشيخ –رحمنا الله وإياه- " تلقى العلم على الأشياخ" أفرد هذه لأهميتها فقال: "طريقة التلقين والتلقي عن الأسانيد والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف،وبطون الكتب هي الأصل في الطلب؛فقد قيل :"من دخل في العلم وحده خرج وحده" ؛إذ العلم صنعة ،وكل صنعة تحتاج إلى صانع؛ فلابد إذن لتعلمها من معلمها الحاذق ،والدليل على ذلك أن آلاف التراجم والسير على مدار التاريخ مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ ومستقل من ذلك

ومستكثر." ذكرنا هذا فيما سبق وبيّنا أنه لا بد من التلقي على الشيخ إن تيسر لك لكن لو لم يتيسر لك شيخ فإنك تستبدل بذلك أن تستمع إلى ما يتيسر الاستماع له من شروح الكتب إذا لم يتيسر فأنت تهتدي بالمختصرات أن تقرأ في أسس التعلم والحقيقة في هذا الباب كتب جيدة منها : طريق طالب العلم للشيخ عبد العزيز السدحان وهو كتاب جيد ضمنه في الحقيقة أساسيات ومبادىء لطالب العلم ينتفع بها كثيرًا. فأنت قبل أن تدخل في العلم اقرأ هذه المعالم والأسس حتى تبنى لك طريقًا واضحًا في طلب العلم.

ثالثًا : أدب الطالب مع شيخه

هذا الباب الناس فيه بين غلو وجفاء وقلَّ من يتوسط وبعضهم يغلو فى الشيخ حتى يرسله إلى مواطن الطاعة المطلقة والتقديس وبعضهم يحتقر شيخه ويصل به الجفاء أن يحتقر شيخه وربما أساء إليه وردَّ عليه وهذا في الحقيقة كله مجافى للطريق الصحيح والوسط ولذلك الشيخ -رحمه الله- ابتدأ برعاية حرمة الشيخ وقال : " ليكن شيخك ومعلمك محل إجلال منك وتقدير وتلطف،فتأدب فى جلوسك معه ، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع وحسن الأدب فى تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، ولا تتقدم عليه بكلام أو مسير،أو إكثار الكلام عنده ،أو المداخلة أثناء حديثه ودرسه بكلام منك أو إلحاح عليه في جواب ،متجنبًا الإكثار من السؤال ؛ خاصة مع كثرة الناس؛ لئلا تفتر أنت ويملَّ هو ، ولا تناده باسمه مجردًا بل قل يا شيخنا أو أستاذنا ،ولا تناده من بُعدٍ من غير اضطرار." يعني من بعيد لأن النداء من بعيد يحتاج الصراخ والصراخ معناه كأنك تصرخ على شيخك وهذا ليس من الأدب. قال: " والتزم توقير المجلس وإظهار السرور من الدرس والإفادة به ،وإذا بدا لك خطأ من الشيخ فلا يسقطه ذلك من عينيك؛فإنه سبب لحرمانك من علمه" نعم؛ لأن ما في أحد معصوم من الخطأ،ولا تحتقر الشيخ لأنه وقع في خطأ أو تقول ليس عنده علم فإنك تُحرم في الحقيقة من أشياء قد تكون أنت لا تعرفها ولكن خذ ما تعلمته وإذا رأيت زللًا ، ما تأخذه من الصواب لعل يزيد على ما يقع فيه الشيخ من الخطأ. قال: "واحذر من امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل." وهذا من خطأ بعض الطلاب أنه يحاول أن يستفز الشيخ بأشياء لينظر هل هو عنده علم أم لا وهل هو يتحمل أم لا. قال: "فإن هذا يضجره، وإذا أردت الانتقال إلى شيخ آخر فاستأذنه بذلك وأعلمه لأنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون الإخفاق." هل الإستذان في الانتقال إلى غيره من الآداب التي ينظر فيها إلى المصلحة

والواقع؛فإذا كنت تعلم أن الشيخ ما يمانع أبدًا فلا بأس أن تتلقى عن شيخ وهو أو أن تتلقى عن شيخ آخر، وإذا كنت تعلم أيضًا أنه لا يتأذى بذلك فمن الأدب أن تستأذنه لكن إذا كنت تعلم أنه ربما يتأذى من ذلك فليس شرطًا أن تستأذنه وانظر أنت إلى المصلحة ما هي فالمقصود أن تتعلم ويس المقصود فقط أن تراعى حرمة الشيخ ومكانته على حساب تعلمك فلا بد من الموازنة في هذا الباب. قال: "رأس مالك أيها الطالب من شيخك القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله؛فإذا أحببته فلا يدفعك حبه أن تقلده بصوت ،أو نغمة أو مشية أو حركة أو هيئة،إلا إذا كانت مشيته تشبه مشية النبي صلى الله عليه وسلم فلا بأس أن تقلده فيها فإن ذلك من الإتباع." هذا أيضًا من الآداب التي تنبغي وهى أنك تقتدي بالشيخ في أخلاقه وكرمه وشمائله مما هو ممدوح في الشريعة في الأساس.

أما الأشياء التي يستقل بها ويتميز بها لوحده كطريقته في مشيته ..طريقته في كلامه فهذا من المبالغة في التقليد. وقد ذمها الشيخ بكر –رحمه الله- ذمًا شنيعًا وزاد في الشناعة حتى أذكر أن أوصلها لدرجة التحريم. و الأمر فيها قريب لا تصل–والله أعلم- لدرجة التحريم ولكن لا ينبغي لك أن تكون نسخة من شيخك،فأنت خذ منه المعلومات وما يتعلق بآدابه وشمائله مما هو منصوص عليه أو جاء في الشريعة،وأما ما عدا ذلك من أخلاقه فإذا كنت ترى أنها جميلة وحسنة وطيبة فلا بأس أن تتأسى به فيها. قال : "نشاط الشيخ في درسه ويكون على قدر مدارك الطالب فى استماعه، وجمع نفسه،وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه؛فلا تكن وسيلة قطع لعلمه بالكسل والفتور والاتكاء وانصراف الذهن وفتوره." هذا من الآداب التي ينبغي أن تراعيها أثناء جلوسك مع شيخك. ثم قال: "الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة" وهى تختلف من شيخ إلى آخر ، ولها آداب وشروط :

- أما الآداب فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب أو كتبت ما سمعته مذاكرة؛
- أما الشرط فتشير إلى أنك كتبت من سماعه من درسه. نعم حينما تكتب عن الشيخ ومثله التسجيل: أولًا لابد أن تخبره بذلك لأن الشيخ قد يكون أثناء إلقاء الدرس يلقى كلمات ربما لا يضبطها ضبطًا متقنًا تكون جاءت من بنات أفكاره ؛فيخشى من أن تنتشر وهى لم تمحص؛فلابد أن تستأذنه حتى الشيخ إما أن يقول لك:نعم اكتب فيتحفظ في كلامه أو يمنعك من ذلك حتى يأخذ راحته في الكلام، وكذلك أنت إذا استفدت منه؛فانسب هذه الفائدة إلى شيخك ؛لأن هذا من بركة العلم .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

معهد العلوم الشرعية العالمي